

## النظام<sup>1</sup>

إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ اسْمُهُ - يُحِبُّ النَّظَامَ، وَهُوَ الَّذِي أَوْجَدَهُ.

نَرِى ذَلِكَ فِي أَيَّامِ الْخَلِيقَةِ، كُلُّ مَا حَدَثَ فِيهَا كَانَ بِتَرتِيبٍ عَجِيبٍ. نَظَمَ اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، ثُمَّ خَلَقَهُ لِيَجِدَ كُلَّ الْأَمْرَوْرَ مَعْدَّةً لِلْحَيَاةِ بِتَسْقِيقٍ تَامٍ بَيْنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

\* مَا أَعْجَبَ النَّظَامَ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ فِي الْفَلَكِ، وَالْعَلَاقَةُ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَسَائِرِ الْأَجْرَامِ السَّماوِيَّةِ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَالنَّجُومِ وَدُورَانِ بَعْضِهَا حَوْلِ الْبَعْضِ بِطَرِيقَةٍ ثَابِتَةٍ لَا تَتَغَيِّرُ، حَتَّىٰ قَالَ عَنْهَا الْمُرْتَلُ فِي الْمَزَمُورِ "السَّمَاءُوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ وَالْفَلَكِ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدِيهِ" (مَزْ 19 : 1).. يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ عَلَاقَةُ كُلِّ هَذِهِ الْكَوَاكِبِ بِالْأَرْضِ فِي تَتَابُعِ الْلَّيلِ وَالنَّهَارِ، وَتَتَابُعِ الْفَصُولِ، فِي نَظَامٍ ثَابِتٍ.

\* يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ النَّظَامَ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ مِنْ جَهَةِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الْحَرَارَةِ وَالضَّغْطِ وَالرِّياحِ وَالْأَمْطَارِ، وَعَلَاقَةُ كُلِّ ذَلِكَ بِالْإِنْسَانِ وَالْبَنَاتِ.

\* بَلْ مَا أَعْجَبَ النَّظَامَ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ فِي جَسَمِ الْإِنْسَانِ، مِنْ حِيثِ وَظِيفَةِ كُلِّ عَضُوٍّ فِيهِ، وَالْعَلَاقَةُ الْقَائِمَةُ بَيْنَ كُلِّ الْأَعْضَاءِ وَتَعَاوُنِهَا، وَمَا يَقُومُ بِهِ الْمَخُ وَالْقَلْبُ وَالْدَمُ وَالْأَعْصَابُ، وَأَجَهْزَةُ الْإِنْذَارِ إِذَا حَدَثَ أَيُّ خَلٌ فِي مَكَانٍ مَا مِنَ الْجَسَمِ... يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ عَجَبٌ آخَرُ فِي تَكْوِينِ الْجِنِّينِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَنَمُوَّهُ حَتَّىٰ يَتَكَامِلَ وَيَخْرُجَ إِنْسَانًا كَامِلًا. مَعَ عَجَبٍ آخَرَ فِي نَظَامِ الْوَرَاثَةِ!

\* وَنَرِى أَنَّ هَنَاكَ نَظَامًا قَدْ وَضَعَهُ اللَّهُ فِي عَالَمِ الطَّيْوَرِ وَالْحَشَرَاتِ وَتَوْرُعِ الْحَيَوانَاتِ. فَمَا أَعْجَبَ النَّظَامَ فِي رَحَلَاتِ الطَّيْوَرِ الْمَهَاجِرَةِ، وَمَا أَعْجَبَ النَّظَامَ أَيْضًا عَنْ النَّحْلِ: مُلَكَّاتُهُ وَعَمَالَاهُ، وَإِنْتَاجُهُ لِلشَّهَدِ وَتَكْوِينُ خَلَائِهِ! وَمَا أَعْجَبَ النَّظَامَ أَيْضًا فِي عَالَمِ الْأَشْجَارِ. مِنْ حِيثِ عَمَلِ الْجَذْرِ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ وَعَمَلِ الْأَغْصَانِ وَالْفَرْوَعِ مِنْ فَوْقِ، وَمُوسَمِ إِنْتَاجِ الزَّهْرِ وَالثَّمَرِ...

نَرِى مَحْبَةَ اللَّهِ وَاضْحَاهَهُ فِي أَسْفَارِ الْعَهْدَيْنِ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ.

\* نَظَامٌ عَجِيبٌ فِي رَتَبِ الْمَلَائِكَةِ وَعَمَلِهَا. فَهُنَاكَ مَلَائِكَةٌ لِلتَّسْبِيحِ مِثْلُ السَّرَافِيمِ (إِش 6). وَمَلَائِكَةٌ "مُؤْسَلَةٌ لِلْخِدْمَةِ لِأَجْلِ الْعَتَيْدِيْنَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلَاصَ" (عَب 14). وَهُنَاكَ الْقَوَاتُ، وَالْعَرُوشُ وَالرِّبُوبِيَّاتُ، وَأَيْضًا رُؤْسَاءِ الْمَلَائِكَةِ، وَالرَّئِيْسِ

الأَكْبَرُ لَهُمْ مِنْ خَائِلٍ... وَفِي سَفَرِ الرَّؤْيَا نَجَدْ أَعْمَالًا مُعِيَّنَةً لِطَوَافَنَ وَأَفْرَادَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ. وَعَنْ كُلِّ الْمَلَائِكَةِ يَقُولُ الْمَزَمُورُ "بَارِكُوا الرَّبَّ يَا مَلَائِكَتَهُ الْمُفْتَدِرِينَ قُوَّةً الْفَاعِلِينَ أَمْرَةً عِنْدَ سَمَاءِ صَوْتٍ كَلَامِهِ" (مَزْ 103: 20).

\* وَنَرِى النَّظَامُ الْعَجِيبُ أَيْضًا فِي تَرْتِيبِ خِيمَةِ الْاجْتِمَاعِ حَسَبَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى كَمَا وَرَدَ فِي سَفَرِ الْخُرُوجِ: الْخِيمَةُ بِمَذَابِحِهَا، وَالْمَائِدَةِ وَالْمَنَارَةِ. الْكُلُّ رَتْبَهُ الرَّبُّ بِحُكْمِهِ، حَتَّى مَلَابِسُ هَارُونَ رَئِيسِ الْكَهْنَةِ وَصَفَّهَا الرَّبُّ بِدَقَّةٍ لَكِي تُصْنَعَ حَسْبُ مُشَيْئَتِهِ. وَكَذَلِكَ وَضَعَ نَظَامًا لَعْلَمَ دَهْنَ الْمَسَحَةِ وَالْبَخُورِ الْعَطْرِ (خَرْ 30).

\* وَوَضَعَ الرَّبُّ نَظَامًا ثَابِتًا لِجَمِيعِ الْذَّبَائِحِ: الْمَحْرَقَةِ، وَذَبِيْحَةِ الْخَطِيْبَةِ، وَذَبِيْحَةِ الْإِثْمِ، وَذَبِيْحَةِ السَّلَامَةِ (فِي سَفَرِ الْلَّاوِيْنِ). وَقَبْلَ ذَلِكَ الْفَصْحَ فِي سَفَرِ الْخُرُوجِ (خَرْ 12). وَنَظَمَ لَهُمْ كُلَّ تَفَاصِيلِ هَذِهِ الْذَّبَائِحِ، وَأَيْضًا مَا يَفْعَلُونَهُ فِي يَوْمِ الْكَفَارَةِ الْعَظِيمِ (لَا 16). كَمَا نَظَمَ لَهُمْ جَمِيعَ الْأَعْيَادِ وَالْمَحَافِلِ الْمَقْدِسَةِ، وَمَا يَعْمَلُونَهُ فِيهَا (لَا 23).

لَمْ يَتَرَكِ الرَّبُّ أَيْ أَمْرٍ مِنْ شَؤُونِ الْعِبَادَةِ إِلَّا وَرَتَبَهُ لَهُمْ. وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا مَا يَخْصُّ الْقَدْسَ، وَقَدْسَ الْأَقْدَاسِ، وَتَابُوتَ الْعَهْدِ.

\* وَرَتَبَ لِمُوسَى النَّبِيِّ أَمْرَوْنَ الْإِدَارَةِ، وَكَيْفَ يَكُونُ مَسَاعِدُهُ، رُؤْسَاءُ الْأَلْفِ، وَرُؤْسَاءُ مِئَاتِ، وَرُؤْسَاءُ خَمَاسِينِ... كَمَا نَظَمَ لَهُ أَمْرَوْنَ الْجَيْشِ وَشُرُوطِ الْمَحَارِبِينَ، كُلَّ التَّفَاصِيلِ رَتَبَهُ الرَّبُّ.

\* وَفِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ نَجَدْ مَحْبَةَ اللَّهِ لِلنَّظَامِ فِي مَعْجَزَةِ الْخَمْسِ خَبَزَاتِ وَالسَّمَكَتَيْنِ: إِذْ قَالَ الرَّبُّ لِتَلَامِيْذِهِ عَنِ الشَّعْبِ قَبْلَ تَوْزِيعِ الطَّعَامِ: أَنْ يَتَكَوَّهُمْ رِفَاقًا... صُفُوقًا صُفُوقًا: مِئَةً مِئَةً وَخَمْسِينَ خَمْسِينَ" (مَرْ 6: 39، 40). وَبِهَذَا أَمْكَنَ إِطْعَامَ الْأَلْفِ مِنَ الشَّعْبِ فِي نَظَامٍ وَهَدْوَةٍ.

\* وَمَا أَجْمَلَ مَا قِيلَ فِي الْكِتَابِ عَنِ النَّظَامِ وَالْتَّرْتِيبِ:

**لِيُكُنْ كُلُّ شَيْءٍ بِلِيَافَةٍ وَبِحَسَبٍ تَرْتِيبٍ** (أَكْو 14: 40).

وَقِيلَ عَنِ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءِ "كُلُّ وَاحِدٍ فِي رُتُبَتِهِ" (أَكْو 15: 23).

**النَّظَامُ أَيْضًا وَضَعَتْهُ الْكَنِيْسَةُ فِي كُلِّ أَمْرِ الْعِبَادَةِ:**

\* فِي الْصَّلَوَاتِ وَضَعَتْ نَظَامَ الْصَّلَوَاتِ السَّبْعِ النَّهَارِيَّةِ وَاللَّيْلِيَّةِ (فِي الْأَجْبَيْةِ) حَتَّى يَصْلِيِ الْجَمِيعَ بِرُوحٍ وَاحِدَةٍ.

\* كَذَلِكَ وَضَعَتْ نَظَامًا لَكُلِّ الْصَّلَوَاتِ الطَّقْسِيَّةِ فِي كُلِّ أَسْرَارِ الْكَنِيْسَةِ: مَاذَا تَكُونُ الْصَّلَوَاتِ فِي سَرِّ الْمَعْمُودِيَّةِ، وَسَرِّ الْمَسَحَةِ الْمَقْدِسَةِ (الْمِيْرَوْنِ)، وَفِي سَرِّ الْإِفْخَارِسْتِيَا (الْقَدَسِ الْإِلَهِيِّ)، وَفِي سَرِّ الْكَهْنَوْتِ (بِكُلِّ دَرْجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِهِ) وَفِي

سر الزواج، وسر مسحة المرضى. كل شيء بترتيب خاص، لا يُترك لأي أحد كاهن أن يقول ما يشاء بل يلتزم الجميع بنظام واحد.

\* كذلك نظمت الكنيسة ما يُقال في رفع البخور، وفي كل تفاصيل التدشين: تدشين المذابح، والأيقونات، والمعموديات، وكل أواني وأدوات الخدمة. وأيضاً ما يقال في رشم ملابس الخدام. ونظمت الكنيسة القراءة كل يوم حسب كتاب (القطماروس).

\* وترتيب الكنيسة أيضاً اختصاص كل رتبة من رتب الكهنوت: وكل العاملين في الإكليلوس. فلا يتجاوز أحد حدود رتبته ووضعت القوانين التي تنظم عمل كل واحد.

\* والكنيسة نظمت أيضاً التناول من الأسرار المقدسة، وشروط الاستعداد لذلك، حتى يكون باستحقاق حسب وصية الكتاب (أك 11: 29). ونظمت أيضاً الأصوات والأعياد ومواعيدها. وما أجمل قول القديس بولس الرسول لتلميذه تيطس أسقف كريت "تَرَكْتُكَ فِي كِرِيَتِ لَكِيْ تُكَمِّلَ تَرْتِيبَ الْأُمُورِ النَّاقِصَةِ، وَتُعِيمَ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ شُيُوخًا (فُسُوسًا)" (تي 1: 5).

\* واهتمت الكنيسة بالنظام كما قال الرسول: "تُوصِّيْكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنْ تَسْجِنُوا كُلَّ أَخِيْ يَسْلُكُ بِلَا تَرْتِيبٍ" (تث 3: 6) وأيضاً قوله: "أَنْذِرُوا الَّذِينَ بِلَا تَرْتِيبٍ" (تث 5: 14).

من أجل هذا نقول إن الإنسان المثالي يجب أن يكون منظماً.

\* يكون منظماً في تفكيره: يفكر بطريقة منظمة ومرتبة ومنسقة. تتابع أفكاره بطريقة منطقية بتسلاسل وبغير تشويش. وإذا تكلم أو كتب، يعرض أفكاره بوضوح ونظام. وهو في ذلك، إنما يحترم عقلية القارئ أو السامع، وإذا قام بالتدريس، يستطيع أن يوضح لتلميذه ما يلقيه من دروس بأسلوب منظم يسهل عليهم استيعاب ما يقول، بواسطة ترتيب المعلومات وتوضيحها.

\* الإنسان المثالي أيضاً يهتم بتنظيم وقته، بحيث يشمل مسؤولياته دون ارتباك شيء منها، كما يقاوم أيضاً الوقت الضائع، الذي يضيع هباء دون أية فائدة. وفي هذا المنطق أيضاً ينظم مواعيده. ويحرص في نفس الوقت على مواعيد غيره. فلا يزور أحداً بدون موعد مسبق. ولا يطيل وقت الزيارة بدون داع.

\* كذلك يكون منظماً في غذائه، من جهة ما يلزم صحته، ومن جهة مواعيد تناول الطعام، وبقدر إمكانه يبتعد عن تناول الطعام بين الوجبات.

\* والإنسان المنظم يكون منظماً أيضاً في ملابسه. وقد يعبر البعض عن هذا الأمر بكلمة (الأناقة). بحيث لا يكون ذلك مبالغًا فيها، أو ملفتاً للنظر، وكما يكون منظماً في ملابسه، يكون منظماً أيضاً في أثاث بيته، وفي أوراق مكتبه...

\* والإنسان المثالى يكون أيضاً منظماً في عمله، وفي كل مسؤولية تُعهد إليه. وبالذات في أمور الإدارة، وفي الحسابات المالية من جهة الوارد والمنصرف والرصيد.

\* ومن الهيئات التي تتصف بالنظام: العسكرية التي تبدأ بالتدريب على الخطوة المنتظمة، ثم دروس في الداخلية أي في قواعد السلوك في المعسكر. وتصل قمة النظام في التكتيك العسكري. وبالإضافة إلى هذا كله، النظام في الرتب العسكرية.

\* وأيضاً من الهيئات المشهورة بالنظام رجال السلك السياسي أو الدبلوماسي.

\* ونحن ننصح أولادنا أن يكونوا منظمين في كل شيء.

وأن يكونوا منظمين، بالأكثر في الكنيسة والأديرة.

بالبعد عن مظاهر الزحام غير اللائق، وبخاصة أثناء التناول من الأسرار المقدسة، وفي كل الاستقبالات ونوازل البركة.

\* ونبه أيضًا إلى الفوضى التي يقوم بها كثير من المصورين في تراحمهم بطريقة تمنع الشعب من الرؤية. كما ننبه المنظمين أن يقوموا بعملهم في هدوء، فلا يعلو صوتهم، ولا ينتهروا الشعب بطريقة غير لائقة بحجة حفظ النظام!